

# حول منهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية

بقلم  
الدكتور عبد الحميد علي عز العرب  
مدرس العقيدة والفلسفة

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .... وبعد :

فليس خافياً على الأذهان أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) ، وأنه المعجزة الخالدة الباقية التي تشهد بنبوته عليه السلام ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن القرآن الكريم لا ينحصر إعجازه في جانب واحد فحسب ، وإنما يمتد ليشمل جوانبه كلها ، حتى في تسميته قرآناً ، وفي تسمية أجزائه سوراً وآيات . قال الجاحظ : « سمي الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب كلامهم على الجمل والتفصيل ، سمي بجملة قرآناً كما سموا ديواناً ، وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كتأقية (١) » .

---

(١) السيوطي : الإتقان ج ١ ص ٥ .

وقد كشف الله سبحانه وتعالى عن الحكمة التي من أجلها أنزل القرآن على النبي ﷺ وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فقال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » ( إبراهيم : ١ ) حتماً إن القرآن الكريم أخرج الناس من ظلمات الشرك والجهالة إلى نور الهدى والإيمان ، فلقد شهد العالم فيما قبل الإسلام تردياً وانحلالاً في كل مناحي الحياة ، لاسيما في الجانب الديني فاليهودية والنصرانية ، انحرف بهما الأحرار والرهبان عن الجادة الصحيحة ، حتى صارتا إلى الوضعية أقرب من كونهما وحياً سماوياً .

فوصفت اليهودية الخالق عز وجل بصفات خلقه ، قال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ( التوبة : ٣٠ ) . وقال تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » ( المائدة : ٦٤ ) .

وكذلك فعلت المسيحية حيث نسبت إلى الله عز وجل الولد ، وزعمت أن أن الله ثالث ثلاثة ، قال تعالى : « وقالت النصارى المسيح ابن الله » ( التوبة : ٣٠ ) وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد » ( المائدة : ٧٣ ) .

وعبد العرب الأصنام ، وتعددت صور عبادتهم لها ، روى البخاري : « عن أبي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، وإذا لم نجد حجراً جمعنا حصوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فلبنا عليه ثم طفنا به » (١) .

وقال الكافي في كتاب الأصنام : « كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً

---

(١) البخاري : الجامع الصحيح : كتاب المغازي .

أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فجعله ربا ، وجعل ثلاث أمانى لقدره  
وإذا ارتحل تركه ، (١) .

ومن ثم وجدنا الإسلام يستهل رسالته بدعوة الناس إلى العقيدة السليمة ،  
التي إن أطمأنت إليها نفوسهم ، واستيقنت بها قلوبهم ، وقرنوها باتباع  
ما أنزل الله من الشريعة والفضيلة ، هدوا إلى حياة طيبة في الدنيا والآخرة ،  
ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم  
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، (النحل : ٩٧) .

---

(١) الكلبي : الأصنام ص ٣٤ .

## مناهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة

تعددت مناهج القرآن الكريم ، وتنوعت مسالكه في إثبات العقيدة الإسلامية ، ذلك أن المتأمل يجد نفسه أمام نوعين من الحقائق :

أحدهما : حقائق غامضة خفية ، تحتاج في إثباتها إلى برهنة واستدلال ، وهى فى الوقت نفسه ، وإن تم الاستدلال عليها ، لا تدركها إلا فئة خاصة ، ولا تتقبلها إلا عمول معينة ، ومثال ذلك : ما ألفناه من الحقائق العلمية التى يزخر بها عصرنا الحاضر .

الثانى : حقائق ظاهرة جليلة ، لا تحتاج إلى طريقة من طرق الإثبات ، ومن ثم ، فهى صالحة ، للعامة والخاصة ، تدركها العقول على السواء ، وحقائق القرآن الكريم ، بما فيها الحديث عن العقيدة وأركانها من هذا النوع الأخير الذى لا يتطلب برهنة أو استدلالا ، ومن هنا وجدنا القرآن الكريم يذكر أركان هذه العقيدة ، ويطلب الخلق بالإيمان بها والإذعان لها .

ولكن المكابرة والعناد تميل برؤوس الكثيرين ، وتحول بينهم وبين الإيمان بالحق رغم ظهوره ، فعمدوا إلى حقائق القرآن الكريم ، يشيرون بالشكوك حولها بشبهات ألبسوها ثوب الحق ، ظنا منهم أن ذلك يقوض القرآن الكريم ويهدمه ، وهيات لهم ذلك : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ( التوبة : ٣٢ ) .

فأخذ القرآن الكريم يرد على هؤلاء ، ويلجمهم عن طريق الحس والمعانية ويفحهم ، كما يبطل دعواهم ويلزمهم فساد معتقدهم ، ومن ثم اتخذ مسلكا آخر فى إثبات هذه العقيدة عن طريق الدفاع عنها والاستدلال عليها .

وإذا كان التعصب والتقليد ، قد حال بين الكثيرين وبين إيمانهم بما جاء

في القرآن الكريم متابعة لما كان عليه آباؤهم في الجاهلية ، فإن القرآن الكريم يسلك معهم مسلكاً ثالثاً ، حين يقدم لهم هذه العقيدة مقسماً عليها ، ومؤكداً لها ، بما يزيل الشكوك ويحيط الشبهات ، ويؤكد الحجة ويقيم البرهان .

وفضلاً عن ذلك كله ؛ فقد رأينا القرآن الكريم يقدم لنا المعاني المعقولة ، التي قد تخفى على بعض الناس ، في صورة حسية رائعة ، حتى تزداد حقائقه جلاءً ووضوحاً .

### ( أ ) تقرير القرآن الكريم لأركان العقيدة الإسلامية :

في القرآن الكريم ، آيات تقدم لنا أركان العقيدة مجتمعة ، وأخرى تقدم لنا كل ركن على حدة . ولعل الحكمة في ذلك ، مطالبة الخلق أن يؤمنوا بأركان هذه العقيدة جملة وتفصيلاً :

فمن الآيات التي تقدم لنا أركان عقيدة الإسلام مجتمعة : أو أركان الإيمان ، كما هو تعبير القرآن الكريم ؛ قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى التربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسالمين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا أولئك هم المتقون » ( البقرة : ١٧٧ ) .

فقد تضمنت الآية الكريمة ، أركان العقيدة الصحيحة ، من إيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ؛ وإيمان بالقدر خيره وشره . وهى الأركان التى ينتهزها السنة الشريفة ، فقد جاء فى حديث جبريل الذى سئل فيه النبى ( ﷺ ) عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة حيث قال « الرسول الكريم عن الإيمان : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله

واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، (١) .

ومن الآيات التي ذكرت كل ركن على حدة :

في التوحيد : قوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » ( البقرة : ٥٥ )  
وقد شهد الله بتوحيده لنفسه ، وشهدت به له الملائكة ، وكذلك أولوا العلم ،  
قال تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط  
لا إله إلا هو العزيز الحكيم » آل عمران : ١٨ ) واستخرج الله بنى آدم  
بعضهم من بعض ، وأخبرهم أنه ربهم وليس لهم ، وأشهدهم بذلك على  
أنفسهم ، قال تعالى : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم  
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ، الأعراف : ١٧٢ » (٢) .

وفي القرآن سورة بعينها لهذا الغرض ، وهي سورة الإخلاص :  
« بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد ولم يكن  
له كفواً أحد ، ( سورة الإخلاص ) .

ويروى في سبب نزول هذه السورة ، أن المشركين سألوا رسول الله  
ﷺ عن ربه فقالوا : صف لنا ربك ، أمن ذهب ؟ أم من فضة ؟ فنزلت  
هذه الآية .

فهذه السورة هي الأصل الجامع في إثبات توحيده ، إذ هي تنفي ،  
كما يقول العلماء ، أنواع الكفر الثمانية : فقوله : ( قل هو الله أحد ) تنفي  
الكثرة والعدد . وقوله : ( الله الصمد ) وهو الذي يقصد في الحوائج ، تنفي  
القلة والنقص — وقوله : ( لم يلد ولم يولد ) تنفي كونه علة لغيره ، أو معلول له .  
وقوله : ( ولم يكن له كفواً أحد ) تنفي الشبهة والنظير .

وفي وظيفة الرسل وبيان الغاية من بعثهم جاء قوله تعالى ، ( رسلاً

---

(١) مسلم : صحيح مسلم : كتاب الإيمان .

(٢) على أبي العز الحنفى : شرح المحاوية في العقيدة السلفية ص ٢٦٥ .

مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً  
حكيماً» (النساء : ١٦٥) .

وفي الأخبار بأن القرآن نزل من عند الله وسائر الكتب المنزلة ، جاء  
قوله تعالى : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة  
والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » ( آل عمران : ٣ ) .

وفي بيان أن محمداً ، ( ﷺ ) رسول من عند الله ، جاء قوله تعالى :  
« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله  
شهِيداً » محمد رسول الله » ( الفتح : ٢٨-٢٩ ) .

وفي اليوم الآخر وما ينبغي على العبد نحوه ، جاء قوله تعالى فيما يقال  
لإنها آخر آية نزلت « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس  
ما كسبت وهم يظلمون » ( البقرة : ٢٨ ) .

وفي الإيمان بالقدر ، وأن كل شيء واقع بمشيئته وإرادته ، جاءت آيات  
كثيرة ، فنكتفي بذكر واحدة منها ، قال تعالى : « وما أصابك من مصيبة في  
الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير »  
( الحديد : ٢٢ ) .

### (ب) الدفاع عن العقيدة الإسلامية والاستدلال عليها :

يقوم المسالك القرآني في إثبات العقيدة في جوهره على الجدل ، فما هو  
ذلك الجدل في أصل اللغة وعند أهل الاصطلاح ؟ وهل أمر الله نبيه ﷺ  
أن يتخذ سبيل من سبل النشر للدعوة الإسلامية على إطلاقه ، أم حده  
حدوداً ، وجعل له قيوداً ؟ ذلك ما نعالجه فيما يلي :

## حقيقة الجدل :

حقيقته في اللغة : يدور الجدل في اللغة على معاني كثيرة ، أشهرها يقال في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالا ، ورجل جدل ومجدل ومجدال : شديد الجدل . ويقال : جادلت الرجل مجدلته جدلا : أى غلبته . ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام ، وجادله أى خاصمه ، مجادلة وجدالا ، والاسم «الجدال» ، وهو شدة الخصومة<sup>(١)</sup> .

وأصل الاشتقاق من الجدل ، وهو شدة القتل ، ومنه قيل لزام الناقة جديل .

قال امرؤ القيس :

وكشح لطيف الجديل مخصر      وساق كأنبوب السفى المدلل<sup>(٢)</sup>

قال ابن سيده : جدل الشيء يجدله جدالا : أحكم قتله ، والجدل معناه الصرع ، من الجدالة وهى الأرض سميت بذلك لشدها .

قال الراجز :

قد أركب الآلة بعد الآلة      وأترك العاجز بالجدالة

يقال : جدله جدالا ، وجدله فأنجدل وتجدل : صوغه على الجدالة<sup>(٣)</sup> .  
وفي الحديث عن النبي ﷺ : « أنا خاتم النبيين فى أم الكتاب وإن آدم

---

(١) ابن منظور : لسان العرب . ج ١١ ص ١٥ .

(٢) المعلقات . ص ٨٤ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب : ج ١١ ص ١١ ، ص ١٠٣ الزمخشري :

أساس البلاغة ص ١٦١ .



لمنجدل في طينته،<sup>(١)</sup> ، أي « ملقى على الجدالة وهي الأرض »،<sup>(٢)</sup> .  
 وخلاصة المعنى اللغوي للجدل أنه : اللدد في الخصومة ، والقدرة عليها .  
 وامتداد الخصومة ، ومراجعة الكلام ، كما ذكره ابن فارس حيث قال :  
 « الجيم والذال واللام أصل واحد ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال .  
 يكون فيه . وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام »،<sup>(٣)</sup> .

### حقيقته في الاصطلاح :

فهو المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ، قال ابن سينا :  
 « أما المجادلة فهي مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين  
 الجمهور »،<sup>(٤)</sup> .

وقال صاحب المصباح المنير ، بعد أن ذكر المعنى اللغوي للجدل : « ثم  
 استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها »،<sup>(٥)</sup> .  
 وقال الجرجاني : « الجدل عبارة عن مرأ يتعلق بإظهار المذاهب  
 وتقريرها »،<sup>(٦)</sup> .

وقال أبو البقاء : « الجدل عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة  
 أو شبهة وهو لا يكون إلا منازعة غيره »،<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) الإمام أحمد . مسند ابن حنبل ج ٤ ص ١٢٧ .
  - (٢) ابن الأثير ط : النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٤٣٣ .
  - (٣) ابن فارس : مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٣٣ .
  - (٤) ابن سينا : الشفاء : كتاب الجدل ج ١ ص ٢٣ .
  - (٥) المصباح المنير ص ١٢٨ .
  - (٦) الجرجاني : التعريفات : ص ٦٦ . رحبط المحيط ج ١ ص ٢٢٣ .
  - (٧) أبي البقاء : الكليات ص ١٤٥ .

وقصارى القول ، بعد عرضنا لهذه المعانى « أن الجدل والجدال : هو الخصومة والمنازعات ، فى البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه ، وإثبات دعوى المتكلم .

### الجدل الذى أمر به النبى ﷺ :

وإذا كان الجدل طبيعة من طبائع الإنسان ، كما سجل القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : « وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً » (الكهف : ٥٤) .

وقد أمر الله نبيه ﷺ بالجدل ، سبيلاً من سبل تبليغ الرسالة ، ونشر الدعوة ، لكنه الجدل اللين الهادئ ، الذى لا يصحبه عنف ولا حدة ، قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » (النحل : ١٢٥) وهى الطريقة نفسها التى أبيض بها مناظرة أهل الكتاب ، قال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » (العنكبوت : ٤٦) .

فما كان الإسلام ليأمر بالجدل على إطلاقه ، وما كان ليمد فى حبله ، أو يدعو للإسراف فيه ، فكثيراً ما كانت تختتم آيات الجدل بأمر الرسول ﷺ بـ « إيم الوجه لله » ، وتفويض الأمر إليه ، قال تعالى : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله » (آل عمران : ٢٠) .

وقال تعالى « وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ، (الحج : ٦٨ - ٦٩) .

والجدل فى القرآن الكريم ، لا يكون إلا من أجل الحق لإحقاق وإظهاره . أما الجدل بالباطل ، فذلك دأب الكافرين ودينهم ، يسجل القرآن ذلك بقوله : « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق » (الكهف : ٥٦) .

وقال تعالى فى شأن الكافرين أيضاً : « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » (غافر : ٥) .

## طريقة القرآن في الجدل والمناظرة:

للقرآن الكريم طريقته الخاصة في مناظرة خصومه ، وإلزامهم بما يفهمهم ، ويبطل مدعاهم ، وذلك في صورة واضحة جلية ، تلائم جميع العقول ، وتقع العامة والخاصة على السواء ، وأبطل القرآن من خلالها كل شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع ، في أسلوب واضح النتائج ، سليم التركيب ، لا يحتاج إلى أعمال عقل ، أو كثير بحث .

والطريقة التي سلكها القرآن في المناظرة ، تختلف عن طرق المتكلمين القائمة على استخلاص النتائج من المقدمات ، يستوى في ذلك ما كان قائماً منها على قياس الشمول ، أو التمثيل أو الاستقراء . ولكن لماذا لم يسلك القرآن طريقة المتكلمين هذه ؟..

إن الزركشى يرجع ذلك إلى سببين :

أحدهما : نزول القرآن بلغة العرب ، وهم لا علم لهم بفن المنطق وقواعد الكلام ، ومن ثم خاطبهم الله بما يعرفون .

والثاني : إن ترك الاستدلال بالجلي من الكلام ، والاتجاه إلى الخفي منه غموض وألغاز ، لا يفهمه إلا خواص الناس .

يقول الزركشى : « اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة ، وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات ، العقلية والسمعية ، إلا وكتاب الله تعالى قد فطن به ، لكن أوردته تعالى على عادة العرب ، دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين :

أحدهما : بسبب ما قلناه : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » ( إبراهيم : ٢٤ ) .

الثاني : أن المائل إلى دقتين الحاجة ، هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلي

من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح ، الذى يفهمه الأكثرون ، لم يتخط إلى الأغمض ، الذى لا يعرفه إلا الأقلون ، ولم يكن ملغزاً ، (١) .

ولكننا لا نشارك الزركشى فى أن نزول القرآن بلسان العرب ، وعدم درايتهم بقواعد المنطق ، كان أحد السببين اللذين عزى إليهما إعراض القرآن عن هذه الطريقة ، فلو أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كانوا على أعلى درجات المعرفة بأصول المنطقيين وقواعدهم ، أو لو أن القرآن نزل بلغة المناطق أنفسهم ، ما غير ذلك من الأمر شيئاً ، ولأعرض القرآن عن أقبيسة المتكلمين وطرقهم ، مثل ما أعرض الآن . وكيف يسلك القرآن الكريم ، وهو الكتاب المعجز من كل جوانبه ، طريقة بشرية قابلة للخطأ والصواب ، لا تخلو من الغموض والألغاز ، فطريقة المتكلمين ، وما على شاكلتها ، قاصرة ، إن لم تكن عاجزة ، عن بلوغ هدفها . فمثلاً : أدلة التوحيد المذكورة فى القرآن ، من نوع الدلالة المعينة المستلزمة لدلولها بنفسها ، من غير احتياج إلى اندراجها تحت قضية كلية ، وذلك على عكس أدلة المتكلمين . وقد تنبه لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول : « وما يذكره النظار من الأدلة القياسية ، التى يسمونها براهين على إثبات الصانع سبحانه وتعالى ، لا يدل شئ منها على عينه ، وإنما يدل على أمر مطلق كلى ، لا يمنع تصويره من وقوع الشك فيه ، فإننا إذا قلنا : هذا محدث ، وكل محدث فلا بد له من محدث ، أو ممكن ، والممكن لا بد له من واجب ، وإنما يدل هذا على محدث مطلق ، أو واجب مطلق ... لا يمنع تصويره من وقوع الشك فيه » ، كما قال : « فبرهانهم لا يدل على شئ معين بخصوصه ، لا واجب الوجود ، ولا غيره ، وإنما يدل على أمر كلى ، والكلى لا يمنع تصويره من وقوع الشك فيه ، وواجب

---

(١) الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٢٤ .

الوجود يمنع العلم به من وقوع الشركة فيه ، ومن لم يتصور ما يمنع الشركة فيه لم يكن قد عرف الله ، وقال : « وهذا بخلاف ما ذكر الله من الآيات في كتابه كقوله : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » (البقرة : ١٦٤)

وقوله : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الجاثية : ١٣) وغير ذلك ، فإنه يدل على المعين كالشمس التي هي آية النهار... وقال تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » (الإسراء : ١٢) .

فالآيات تدل على نفس الخالق سبحانه وتعالى ، لا على قدر مشترك بينه وبين غيره ، فإن كل ما سواه مفتقر إليه نفسه ، فليزم من وجوده وجود عين الخالق نفسه<sup>(١)</sup> .

وإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على جميع البراهين ، كما قال الزركشي ، وإنه ما من برهان ولا دلالة ، وتقسيم وتجديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد فلق به . إذا كان ذلك كذلك ، فإنه يمكن أن يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية عن طريق المتكلمين .

فمن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التبايع المشار إليها في قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (الأنبياء : ٢٢) ، لأنه لو كان للعالم صانع لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتفق على أحكام ، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما ، وذلك لأنه لو أراد أحدهما

---

(١) ابن قيمية : الرد على المنطقيين ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

إحياء جسم أراد الآخر إمامته ، فيما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة الفعل إن فرض الاتفاق ، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف ، وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزاً<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك أيضاً الآيات التالية من سورة الحج : قال تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم \* يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد \* ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد \* كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير \* يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلناكم من البعث فإننا خلطنا لكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج \* ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير \* وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (الحج : ١-٧) . وقال العلماء : إن في هذه الآيات خمس نتائج تستنتج من عشرة مقدمات . قوله : ذلك بأن الله هو الحق ، لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظمها لها ، وذلك مقطوع بصحته ، لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عن ثبت قدرته ، منقول إلينا بالتواتر ، فهو حق ، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق ، فالله هو الحق . وأخبر تعالى أنه يحيي الموتى لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر ، وحصول

(١) السيوطي : الإتيان . ج ٢ . ص : ١٧٣ .

فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتي ليشهدوا تلك الأحوال التي يقيمها الله من أجلهم . وقد ثبت أنه قادر على كل شيء ، ومن الأشياء إحياء الموتي ، فهو يحيي الموتي . وأخبر أنه على كل شيء قدير ، لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ، ومن يجادل فيه بغير بعلم ، يذقه عذاب السعير ، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير ، فهو على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها ، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب . إلى قوله : « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » ، وضرب لذلك مثلاً بالارض الهامدة ، التي ينزل عليها الماء فتتهز وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج .

ومن خلق الإنسان على ما أخبر به ، فأوجده بالخلق ، ثم أعدمه بالموت ، ثم يعيده بالبعث ، وأوجد الأرض بعد العدم ، فأحيّاها بالخلق ، ثم أماتها بالمحل ، ثم أحيّاها بالخصب ، وصدق خبره في ذلك كله ، بدلالة الواقع والمشاهد على المتوقع الغائب ، حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره في الإتيان بالساعة ، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور ، لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للجزاء ، فهي آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور ، (١) .

وسواء أكان ما ذكره العلماء من إمكان رد براهين المتكلمين العقلية إلى آيات القرآن صحيحاً أو متكلفاً ، فإن الذي يعنينا هو أن القرآن الكريم قد انفرد بهج خاص في الاستدلال على العقيدة الصحيحة بعيداً عما قاله المتكلمون والمناطقة .

وما وضعوه لأنفسهم من قواعد ، وما شرطوه في أشكال تلك الآقيسة ، من شروط لصحة الاستنتاج ، من نحو إيجاب الصغرى ، وكلية الكبرى ،

(١) المرجع السابق ج ٢ ص : ١٧٣ .

وغير ذلك مما تضمنه المنطق الأرسطي ، الذى أخذه علماء الكلام مأخذ  
القبول والتسليم ، وساروا عليه فى براهينهم وأدلتهم .

### المنظرات فى القرآن الكريم :

فى القرآن الكريم منظرات كثيرة ، والذى يهمنا فى هذا المقام منها  
ما يتصل بالدفاع عن العقيدة ، والاستدلال عليها ، وفيما يلى أهم أنواعها :

#### ١ - الدعوة إلى النظر والتأمل فى الكون :

وذلك من خلال ما يقدمه القرآن من الآيات الكونية المقرونة بالنظر  
والتدبير ، الاستدلال على أصول العقيدة الإسلامية ، من مثل توحيد الله ،  
والإيمان به تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . وهذا النوع  
شائع فى سور القرآن وآياته :

من ذلك قوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء  
ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ،  
(البقرة : ٢١-٢٢) .

فقد ذكر الله تعالى ، هنا خمسة أنواع من الدلائل : اثنين من الأنفس ،  
وثلاثة من الآفاق ، فبدأ أولاً : بقوله : ( خلقتكم ) . وثانياً : بالآباء  
والأمهات ، وهو قوله :

( والذين من قبلكم ) . وثالثاً : بكون الأرض فراشاً . ورابعاً : بكون  
السماء بناءً .

وخامساً : بالأمور الحاصلة من مجموع السماء والأرض ، وهو قوله :  
( وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم )<sup>(١)</sup> .

---

(١) الرازى : تفسير الرازى ٠ ج ٢ ص : ١٠١-١٠٢ .



ولمّا جاء ترتيب هذه الدلائل على هذا النحو ، لأن أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، وعلم الإنسان بأحوال نفسه ، أظهر من علمه بأحوال غيره ، وإذا كان الغرض من الاستدلال إفادة العلم ، فكل ما كان أظهر دلالة كان أقوى إفادة ، وكان أولى بالذكر . فلهذا السبب قدم ذكر نفس الإنسان ، ثم مني بآبائه وأمهاته ، ثم تلك بالأرض ؛ لأن الأرض أقرب إلى الإنسان من السماء ، والإنسان أعرف بحال الأرض منه بأحوال السماء ، ولما قدم ذكر السماء على نزول الماء من السماء ، وخروج الثمرات بسببه ؛ لأن ذلك كالأمر المنول من السماء والأرض ، والأثر متأخر عن المؤثر ، فلهذا السبب أخر الله ذكره عن ذكر الأرض والسماء ، (١) .

وقد رتب الله على هذه الدلائل توحيده بعدم اتخاذ أنداد له تعالى ، فقال : ( ولا تجعلوا لله أنداداً ) ، وإذا المعنى هو الذى خلق لكم هذه الدلائل الباهرة ، فلا تتخذوا له شركاء وأنتم تعلمون ، أى أنكم لكمال عقولكم تعلمون أن هذه الأشياء لا يسمع جعلها أنداداً لله تعالى ، فلا تقولوا ذلك ، فإن القول التمييز بمن علم قبجه يكون أقبح ، (٢) .

ومن تلك الآيات أيضاً قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ، ( البقرة : ١٦٣ - ١٦٤ ) .

فالله سبحانه وتعالى بعد أن حكم بالفردانية والوحدانية ، ذكر ثمانية

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١١١ - ١١٢ .

أنواع من الدلائل ، التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولاً ، وعلى توحيده وبرأته عن الأضداد والأنداد ثانياً :

فالنوع الأول : الاستدلال بأحوال الكون : وما فيه من سموات سبع ، ومن مجرات لا حصر لعدددها ، بما تتضمنه كل مجرة منها من أجرام سماوية متنوعة لا حصر لعدددها ، من سدم ، ونجوم ( شمس ، وكواكب ، وأقمار ، ومذنبات ، وشهب ونيازك .

ومنها مجرتنا المعروفة باسم الطريق اللبني أو درب التبانة التي تحوى نحو مائة بليون نجم ، متوسط بعد كل نجم منها عن الآخر نحو عشر سنوات ضوئية<sup>(١)</sup> ، والتي تختلف من حيث : بعدها عنا ، وأحجامها ، وأقذارها الحرارية والضوئية ، وألوانها ، ومنها : نجمنا أو شمسنا ( النظام الشمسى ) الذى يدور حوله تسع كواكب ، ومجموعة الكويكبات ، ويدور حول هذه الكواكب إحدى وثلاثون قرراً ، منها : قمر كوكبنا الأرضى ، كما يدور حوله أعداد لا حصر لها من المذنبات والشهب والنيازك . وهذه المجرات ، وتلك الأجرام السماوية ، فى حركة دائبة منتظمة دقيقة ، وهو كون يبلغ حداً من الاتساع بعجز العقل البشرى عن الإحاطة به كاملاً ، وكل ما أمكنه هو إدراك جزء منه فيما يعرف باسم : الكون المرئى ، وفى هذا المضمار يقول العالم الفلكى السويسرى فيكتور فايسكوف : « فاتساع الكون الهائل ، أعظم من أن يدرك ، إدراكاً مباشراً بوحدات الأبعاد الأرضية<sup>(٢)</sup> . إلا أن الشيء الأعظم من ذلك كله ، هو ما وصل إليه العقل البشرى ، الذى ابتدع الآراء ،

---

(١) السنة الضوئية تعادل نحو ٦ مليون مليون ميل ، أو ١٠ مليون مليون كيلو متر .

(٢) يقصد المقياس الإنجليزى وهو الميل ، والمقياس الفرنسى وهو الكيلومتر .

التي أدت إلى التعرف على أبعاد الكون الشاسعة<sup>(١)</sup> . وأنا أقول : والشئ الأعظم من ذلك كله ، الله سبحانه وتعالى ، الذي خلق هذا الكون الشاسع ، وذلك العقل البشرى بمختلف قدراته العقلية ، مبتدع تلك الآراء .

النوع الثاني : الاستدلال بأحوال الأرض : وجعلها ذات يابس وماء  
وغلاف غازي محكم الطبقات ، وجعل اليابس مرتفعات : جبال وهضاب وتلال ، ومنخفضات : سهول وأودية وأحواض ... الخ . مما يطول ذكره من ظروف طبيعية تلائم وجود ونمو وازدهار كافة الأشكال المختلفة للحياة : إنسانية وحيوانية ونباتية ، وهي ظروف لا تتوافر في أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ( النظام الشمسى ) .

النوع الثالث : الاستدلال باختلاف الليل والنهار : أى تعاقبهما مجتئاً  
وذهاباً ، واختلافهما في الطول والقصر ، والنور والظلمة ، وجعل النهار معاشاً ، والليل سباتاً .

النوع الرابع : الاستدلال بالفلك : التي تجرى في البحر بما ينفع الناس  
في تحصيل معاشهم عن طريق أسفارهم ، حيث خلق الله المواد الخام التي تصنع منها هذه الفلك ، وعلم الإنسان صنعها ، وهداه إلى كيفية تسييرها ، وسخر البحر لتجرى عليه أمنة مطمئنة ، بتدبير الله وعنايته .

النوع الخامس : الاستدلال بإنزال الماء من السماء : لتحيي به الأرض  
بعد أن كانت هامدة جافة . فقد خلق الله الماء محتوي على صفات الرقة والعدوبة ، مما لا يتقدر أحد على خلقها إلا الله تعالى ، قال سبحانه : « قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » ( الملك : ٣٠ ) وقد جعل الله سبباً للحياة

---

(١) فيكتور فايسكوف : المعرفة والتساؤل ص ٢٧ .

الإنسانية والحيوانية والنباتية ، قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ،  
(الأنبياء : ٣٠) .

كما جعله تعالى لأكثر منافع الإنسان ، لجانب جعله سبباً لرزقه ، فقال  
تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » (الذاريات : ٢٢) .

النوع السادس : الاستدلال بخلق الدواب : كما في قوله تعالى : « وبث  
فيهما من كل دابة » (البقرة : ١٦٤) . وفظيره جميع الآيات الدالة على خلقه  
الإنسان وسائر الحيوانات ~~كقوله~~ : « وبث فيهما رجالاً كثيراً وفساء »  
(النساء : ١) ، حيث لا يخفى على العاقل دلالة ذلك على الواحد المدبر الحكيم .  
روى أن واحداً ، قال عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إني أتعجب من  
أمر الشيطان ، فإن رفعته ذراع في ذراع ، ولو لعب الإنسان ألف ألف مرة ،  
فإنه لا يتفق مرتان على وجه واحد . فقال عمر بن الخطاب : هنا ما هو أعجب  
منه ، وهو أن مقدار الوجه شبر في شبر ، إن موضع الأعضاء التي فيه ،  
كالجابين والعينين والأنف والفم ، لا يتغير البتة . ثم إنك لا ترى شخصين في  
الشرق والغرب يشبهان ، فما أعظم تلك القدرة والحكمة التي أظهرت في هذه  
الرقعة الصغيرة ، هذه الاختلافات التي لاحد لها ، (١) .

النوع السابع : الاستدلال بتصرف الرياح وتحريكها : دفعه فظام  
مخصوص وبقدر معلوم ، فقد خلقها الله على وجه يقبل التصريف ، وهو  
الرقعة واللائقة ، ثم إنه سبحانه يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم للإنسان  
والحيوان والنبات ، ويكني أنها مادة النفس الذي لو انتمتع ساعة عن الإنسان  
والحيوان لم تبق لهما حياة .

النوع الثامن : الاستدلال بالسحاب المسخر بين السماء والأرض : حيث  
تشير الرياح محملاً بالماء ، فيكون الماء على ما شاء الله من الأرض ، لتصبح  
مخضرة بمئته تعالى ورحمته .

تلك هي الدلائل الثمانية وهي : « من حيث أنها قد وقعت على وجه الاتساق والانتظام ، من غير ظهور الفساد فيها ، دلت على وحدانية الصانع ، على ما قال تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، » (١) .

## ٢ - الرد على الخصوم وإلزام أهل العناد :

فقد ناظر القرآن الكريم ، وجادل الخصوم ، فأخفم المعاندين وألزم المنكرين ، وأرشد المترددين الشاكين ، وأقنعهم بالدليل القطعي بصحة ما يدعوا إليه ، وقد نهج القرآن في رده على الخصوم مناهج متعددة ، وجاء لهم بالمنع والنقض والمعارضة . وتحت هذا النوع من المناظرة صور متعددة فيما يلي أهمها :

### (١) الاستفهام التقريرى :

وهو عبارة عن تقرير المخاطب بطريق الاستفهام ، عن الأمور التي يسلم بها الخصم ، وتسلم بها العقول ، حتى يعترف بما ينكره ، وهذا اللون من المناظرة والجدل « من أحسن جدل القرآن » بإبرهانه ، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات ، أو أن تكون بينة معروفة ، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية ، (٢) .

ولا شك أن في الاستفهام استتارة وبياناً لما في النفوس ، ليكون الإلزام أبلغ وأقوى . . ومن أمثلته ، ما جاء في الاستدلال بالحلق على الخالق ، قال تعالى : « فرأيتم ما تمنون \* أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون \* نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين \* على أن نبذل أمثالكم وننشأكم في ما لا تعلمون \*

(١) المرجع السابق . ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) محمد على سلامة : منهج الفرقان في علوم القرآن ص : ٤٣ .

ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون \* أفرايتم ما تحرثون \* أنتم تزرعونه  
 أم نحن الزارعون \* لو نشاء لجعلناهم حطابا فظلمتم تفكهرون \* إنا لمغرمون \*  
 بل نحن محرومون \* أفرايتم الماء الذى تشربون \* أنتم أنزلتموه من المزن  
 أم نحن المنزلون \* لو نشاء لجعلناه أجاجاً فلولا تشكرون \* أفرايتم النار التى  
 توردون \* أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون \* نحن جعلناها تذكرة  
 ومتاعا للمقوين ، ( الواقعة : ٥٨ - ٧٣ ) .

ومن ذلك ، ما جاء فى الاستدلال على وحدانيته عز وجل ، قال تعالى :  
 • وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى • الله خير أما يشركون \*  
 أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق  
 ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون \*  
 أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين  
 البحرين حاجزاً • إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون \* أمن يجيب المضطر إذا  
 دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض • إله مع الله قليلاً ما تذكرون \*  
 أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته  
 • إله مع الله تعالى الله عما تشركون \* أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم  
 من السماء والأرض • إله مع الله قل هااتوا برهانكم إن كنتم صائين \*  
 ( النمل : ٥٩ - ٦٤ ) .

( ب ) الاستدلال بالمبدأ على المعاد : وهو كثير فى القرآن الكريم ، للرد  
 على منكبرى البعث من الخصوم ، ومن أمثلته :

قوله تعالى : • وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى  
 رميم \* قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم \* الذى جعل  
 لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم توقدون \* أوليس الذى خلق  
 السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، ( يس :  
 ٧٨ - ٨١ ) .

وقوله تعالى : « أفعمينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد »  
(ق : ١٥) .

وقوله تعالى : « يحسب الإنسان أن يترك سدى » ألم يك نطفة من مفرء  
ينى \* ثم كان علقة نخلان فسوى \* فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى \* أليس  
ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ، ( القيامة : ٣١ - ٤٠ ) .  
٣ - الأقضية الإضمارية :

وهى التى تحذف فيها إحدى المقدمات ، مع وجود ما ينهى عن المحذوف ،  
والناظر المستقر لأدلة القرآن ، يرى أن أكثرها قد حذفت منه إحدى  
المقدمات . وذكر صاحب شرح الطحاوية ما فهمه : « إن الطريقة الفعيجية  
في البيان ، أن تحذف إحدى المقدمات ، وهى طريقة القرآن ، »<sup>(١)</sup> .

ومن أمثلة ذلك ، ما قاله تعالى رداً على النصارى ، في قولهم يلهية عيسى  
عليه السلام : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقته من تراب ثم قال له كن  
فيكون » الحق من ربك فلا تكن من الممترين ، ( آل عمران : ٥٩ - ٦٠ ) .  
فنحن نجد أنه قد حذفت مقدمة من الآيتين : « وكان سياق الدليل ، في غير  
كلام الله تعالى ، يكون : أن آدم خلق من غير أب ولا أم ، وعيسى خلق من  
غير أب ، فلو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك ، لكان آدم أولى ، لكن آدم ليس  
ابناً ولا إلهاً باعترافكم ، فعيسى أيضاً ليس ابناً ولا إلهاً .

وإن الحذف قد صير في الكلام طلاوة ، وأكسبه رونقاً ، وجعل  
الجملة مثلاً مأثوراً ، يعطى الكلام حجة في الرد على النصارى ، ويذكر  
الجميع بأن آدم والناس جميعاً يذتهون إليه ، وإنما خلق من تراب ، فلا عزة  
إلا لله تعالى<sup>(٢)</sup> .

(١) على أبى العز الحنفى شرح الطحاوى في العقيدة السلفية ص ٢٣ .

(٢) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى : القرآن ص ٣٩٨ يتصرف .

#### ٤ - الأمر التعجيزى الدال على التحدى :

وذلك بأن يتلَب القرآن الكريم من الخصم ما يثبت دعواه ، فلا يستطيع إلى ذلك سبيل ، فيكون ملزماً له أيما إلزام . ومن أمثلته قوله تعالى ، ردأ على من يتخذ إلهه من دون الله : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات انتوني بكتاب من قبل هذا أو أنارة من علم إن كنتم صادقين ، ( الأحقاف : ٤ ) ويتجلى ذلك الأمر التعجيزى الدال على التحدى ، في إثبات نبوته ( ﷺ ) ، حين تحدى بالقرآن العرب ، فتلَب منهم أن يأتوا بمثله فعجزوا : « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ، ( الطور : ٣٤ ) فتلَب منهم أن يأتوا بمثل عشر سور منه فعجزوا : « قل تأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، ( هود : ١٣ ) .

فتلَب منهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه ، فعجزوا : « قل فأتوا بعسرة مثله ، ( يونس : ٣٨ ) .

#### ٥ - إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيض مدعاه :

ومن أمثلته قوله تعالى تعالى ردأ على اليهود ، حين زعموا أنه لم ينزل الله على بشر شيئاً ، بقوله : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتحفرون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ، ( الأنعام : ٩١ ) فقد جاءت دعوى اليهود في صورة السلب الكلى ، وجاء رد القرآن في صورة الإيجاب ، وهذا ما اعتبره المناطقة شكلاً من أشكال التناقض<sup>(١)</sup> .

(١) مناع القطان : مباحث علوم القرآن ص ٣٠٣ و زاهر عواض اللمى : منهاج الجدل في القرآن الكريم ص ٧٨ - ٧٩ .



## ٦- إلزام الخصم وإلزامه ببيان أن مدعاه يلزمه القول بما لا يعترف

به أحد :

قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات  
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » بديع السموات والأرض أنى يكون له  
ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ( الأنعام :  
١٠٠ - ١٠١ ) . فنفى التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد ، وأن التولد  
إنما يكون من أن يتولد عنه شيء ، وهو بكل شيء عليم ، وعلمه بكل شيء .  
يستلزم أن يكون فاعلا بإرادته ، فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة  
والفاعل بالتابع ، فبمتنع مع كونه عالماً ، أن يكون كالأموال الطبيعية ، التي  
يتولد عنها الأشياء بلا شعور ، كالحر والبارد ، فلا يجوز إضافة الولد  
إليه (١) . وغير ذلك من الصور ، التي تندرج تحت هذا الضرب مما لا يسمح  
به هذا المختصر .

## ٣- إثبات القرآن الكريم للعقيدة من خلال تأكيدها والإقسام عليها :

يعتبر القسم من الأساليب التي تؤدي إلى تمكين الشيء في النفس ،  
وترسيخه فيها ، فهو من الوسائل التي يزول بها ريب المرتابين ، ويدفع بها  
إنكار المنكرين ، ومن ثم ، اتخذ القرآن الكريم مسلكاً من مسالك إثبات  
العقيدة الإسلامية وتقريرها ، أمام من في قلبه شك أو إنكار ، ذلك أن  
القرآن قد نزل بلغة العرب ، ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً :  
« وقال أبو القاسم القشيري بأن : الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها ،  
وذلك أن الحكم يفصل باثنين :

إما بالشهادة ، وإما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه النوعين ، حتى لا يبق

(١) ابن قيمية : الرد على المنطقيين ص ٢١٩ .

لهم حجة فقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ،  
(آل عمران : ١٨) » .

وقال : ( قل إى وربى إنه لحق ) . وعن بعض الأعراب ، أنه لما سمع  
قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » فورب السماء والأرض أنه  
لحق ، (الذاريات : ٢٢ - ٢٣) ، صرخ وقال : من ذا الذى أغضب الجليل ،  
حتى ألجأه إلى اليمين ، ثم إن القرآن نزل للناس كافة ، ووقف الناس منه  
مواقف متباينة ، فمنهم الشاك ، ومنهم المنكر ومنهم الخصم الألد . فالقسم فى  
كلام الله يزبل الشكوك ، ويحبط السبهات ، ويقيم الحجة ، ويؤكد الإخبار ،  
ويقرر الحكم فى أكل صورة (١) .

وقبل أن نذكر ما أقسم الله به على إثبات أصول العقيدة الإسلامية ،  
مما أقسم عليه منها ، نقدم كلمة حول القسم معناه وصيغته (٢) .

### معنى القسم وصيغته :

القسم واليمين بمعنى واحد ، ويعرف بأنه : ربط النفس بالامتناع عن شىء  
أو الإقدام عليه ، بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً . فنال المعنى  
المعظم عند الحالف حقيقة : القسم بذات الله وصفاته ، ومثال المعظم اعتقاداً  
بما كان يفعله أهل الجاهلية من القسم بألهتهم . والصيغة الأصلية للقسم أن  
يؤتى بالفعل أقسم ، أو أحلف ، متعدياً بالباء إلى المتمسم به ، ثم يأتى المقسم  
عليه ، وهو المسمى بجواب القسم ، كقوله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم  
لا يبعث الله من يمت » (النحل : ٣٨) .

---

(١) السيوطى : الإتيقان ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ ومناع القطان : مباحث فى  
علوم القرآن ج ٢٩١ .

(٢) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ص ٢٩١ بتصرف .

فأجزاء صيغة القسم ثلاثة :

١ - الفعل الذى يتعدى بالباء .

٢ - والمقسم به .

٣ - والمقسم عليه .

ولما كان التسم يكثر فى الكلام ، اختصر فصار فعل القسم محذوف ويكتفى بالباء ، وهى لم ترد فى القرآن إلا مع فعل القسم ، فى قوله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » ( الأنعام : ١٠٩ - النور : ٥٣ - النحل : ٣٨ - فالجر : ٢٤٢ ، ثم عوض عن الباء بالواو فى الأسماء الظاهرة ، كقوله تعالى : « والليل إذا يغشى » ( الليل : ١ ) .

وبالتاء فى لفظ الجلالة كقوله : « وتالله لا أكيدن أصنامكم » ( الأنبياء : ٥٧ ) وهذا قليل ، أما الواو فكثيرة <sup>(١)</sup> . والآن إلى ما وعدنا بذكره من بيان ما أقسم الله به ، وما أقسم عليه ، من أصول العقيدة وأركانها .

١ - ما أقسم الله به :

إن المتأمل فى آيات القرآن الكريم ، يجد أن المقسم به فيها لا يتعدى ضربين : التسم بذاته ، والتسم ببعض مخلوقاته . يقول ابن القيم : « وهو سبحانه ، يقسم بأمر على أمور ، وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته ، وآياته المستلزمة لذاته وصفاته » <sup>(٢)</sup> . لكن كيف يقسم الله بخلقه ، مع نهيه عباده أن يقسموا بغيره ، فقد روى عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » <sup>(٣)</sup> .

(١) مناع القمآن : مباحث فى علوم القرآن ص ٢٩١ بتصرف .

(٢) ابن القيم : التبيان : ج ١ ص ٤٥ .

(٣) رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم .

ومن هنا اختلف العلماء في توجيه أقسامه تعالى بآياته ومخلوقاته :

فابن القيم يرى : « أن إقسامه ببعض المخلوقات ، دليل على أنه من عظيم آياته » (١) .

وقال السيوطي : « أقسم الله بنفسه تارة ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدل على باريه وصانع » (٢) .

« وقال ابن أبي الأصبع في أسرار النوايح : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل ، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : إن الله يقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله » .

## ٢ — ما أقسم الله عليه من أصول العقيدة :

أقسم الله تعالى على أركان العقيدة ، وأصول الإيمان ، التي يجب على الخلق معرفتها .

(١) فما أقسم عليه إثبات الوجدانية له تعالى : قال تعالى : والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، إن إلهكم لواحد ، ( الصافات : ١ - ٤ ) .

(ب) وبما أقسم الله عليه أيضاً القرآن الكريم ، وأنه وحى من عنده : قال تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » وأنه لقسم لو تعلمون عظيم ، لأنه لقرآن كريم ، ( الواقعة : ٧٥ - ٧٧ ) .

---

(١) ابن القيم : التبيان ج ١ ص ٤٥ .

(٢) السيوطي : الاتقان : ج ٢ ص ١٧٠ .

(ج) وما أقسم الله عليه أن محمداً رسول من عنده : قال تعالى :  
« يس • والقرآن الحكيم • إنك لمن المرسلين ، ( يس : ١ - ٣ ) .  
وقال تعالى : « ن • والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون • وإن  
لك لأجراً غير ممنون ، ( القلم : ١ - ٣ ) .

(د) ومما أقسم الله عليه كذلك المعاد والوعد والوعيد : وقد حظى  
هذا النوع بحظ كبير من أسلوب القسم ، فأقسم الله عليه بذاته تارة ،  
وبمخلوقاته تارة أخرى . فقد أمر نبيه ﷺ أن يقسم بذاته تعالى على وقوع  
المعاد وقيام الساعة في ثلاثة مواضع : قال تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن  
يعثوا قل بلى وربي لتبعثن ، ( التغابن : ٧ ) . وقال تعالى : « وقال الذين  
كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ، ( سبأ : ٣ ) وقال تعالى :  
« ويستتبونك أحق هو قل إى وربي إنه لحق ، ( يونس : ٥٣ ) .

كذلك أقسم تعالى بنفسه وعيذاً للكافرين ، وتهديداً لهم ، أنه سوف  
يحشرهم مع الشياطين يوم القيامة : « فورك لنحشرنهم والشياطين •  
( مريم : ٦٨ ) . كما أقسم تعالى بنفسه أيضاً على سؤالهم عما يعملونه في الدنيا  
« فورك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ، ( الحجر : ٩٢ - ٩٣ ) .

وأخيراً أقسم بذاته عز وجل على قدرته على إهلاك الكافرين ، وخلق  
من هم خير منهم طاعة وامثالاً : « فلا أقسم برب المشرق والمغرب • إنا  
لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين ، ( المعارج : ٤٠ - ٤١ )  
ولا يخفى ما في ذلك من الوعيد والتهديد .

٢ - وما أقسم الله به تعالى من مخلوقاته : ومن هذا النوع :

قوله تعالى : « والذاريات ذروا • فالحاملات وقرا • فالجاريات يسرا •

فالمقسمات أمرا \* إنما توعدون لصادق \* وإن الدين لواقع ،  
(الذاريات : ١ - ٦) .

وقوله تعالى : « والمرسلات عرفا \* فالعاصفات عصفا \* والناشرات نشرافا \*  
فالفارقات فرقا \* فالملتقيات ذكرا \* عذرا أو نذرا \* إنما توعدون لواقع ،  
(المرسلات : ١ - ٧) <sup>(١)</sup> ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المقام ،  
وهي كثيرة في القرآن الكريم .

#### ٤ - تصوير المعاني العقلية في صورة حسية :

ومن بين المسالك التي سلكها القرآن الكريم ، في إثبات العقيدة وإيضاحها ، وتقريرها في الأذهان ، إبراز المعاني المعقولة في صورة حسية ، عن طريق التشبيه والتمثيل . ذلك أن : « الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة ، إذا صيغت في قالب حسي يقربها إلى الأفهام ، بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو في الغالب الذي يبرز المعاني في صورة حسية تستقر في الأذهان ، بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير ، وكمن معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ، واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم ، في ضروب بيانه ونواحي إعجازه » <sup>(٢)</sup> .

ومما ذكره القرآن الكريم من إبراز المعقول في صورة محسوسة في مجال العقيدة :

---

(١) السيوطي : الإتقان . ج ٢ ص : ١٧٠ . وابن القيم : التبيان ج ١ .  
ص ٤٩ - ٥١ بتصرف .

(٢) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٨١ .

قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » (الحج : ٧٣) .

فقد بينت الآية عن طريق الحس والمشاهدة، ضالة الآلهة التي تتخذ من دون الله، وأنها أصغر من أن تعبد، أو تطاع، أو تتخذ وسيلة للشفاعه عند الله، لأنها لا تقدر على شيء صغر، أو كبر، قل، أو عظم.

ومنها أيضا قوله تعالى ، في التفرقة بين المؤمن وتوحيده لله تعالى ،  
والكافر وإشراكه به عز وجل : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء  
معتشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم  
لا يعلمون » ( الزمر : ٢٩ ) فالله تعالى قد ضرب : « للمؤمن الموحد والكافر  
المشرك مثلا ، رجل مملوك لشركاء معتشاكسون يخلفون ، كل له رأى وحاجة  
فكل يطلب من هذا العبد حاجة لا يطلبها الآخر ، فماذا يفعل ؟ وقد تقاسمت  
الأهواء واختلفت به السبل ؟ . وهذا رجل آخر ، مملوك لشخص واحد ،  
فهو سالم له ، ليس لغيره سبيل عليه ، هكذا المسلم لا يعبد إلا الله ،  
ولا يسعى لإرضاء غير ربه ، الرحمن الرحيم ذي الفضل العظيم عليه ، فهل  
يتراه في راحة ، أم حيرة وضلال ؟ أما المشرك فهو يعبد آلهة ، ويتجه إلى  
شركاء مختلفين ، فهو دائما في حيرة وارتباك ، لا يدري كيف يرضى الجميع ؟ .

هل يستوى المسلم الموحد بالكافر المشرك ؟ لا يستويان بحال . .  
الحمد لله الذى وفقنا للإسلام ، وهدانا إلى الحق ، ونولاه ما اهتمدنا .  
فالحمد له جل شأنه ، بل أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، (١) .

(۱) د. محمد محمود حجازی: التفسیر الواضح ج ۲۳ ص: ۸۹ - ۸۱.

إلى غير ذلك ، مما جاء في القرآن الكريم من آيات على هذا النحو .  
بقصد إثبات العقيدة وتثبيتها ، بحيث لا يبقى مجال لشك الشاكين ، وريب  
المرتابين ، فهو الكتاب الذي لا تنقضى عجائبه ، ولا يبلى من كثرة الرد ، من  
قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم .

### وبعد :

فإني أؤمن بأن الحديث عن منهج القرآن الكريم ، في إثبات العقيدة ،  
يحتاج إلى مزيد من التفصيل ، ولا يسعه بحث أو بحوث ، لكن الذي أرجوه  
أن أكون قد وفقت في رسم صورة للمنهج القرآني ، في إثبات العقيدة  
الإسلامية الحققة ، التي قوامها كلمة التوحيد ، كلمة : « لا إله إلا الله » ، التي  
من قالها دخل الجنة . وهي العقيدة التي لم توجد عقيدة في دين من الأديان  
السابقة ، إلا وقد أصيبت ، ما عدا الإسلام ، بشهادة أحد أعداء الإسلام «  
الذي أوصى بالاشتداد في حرب تلك العقيدة وهدمها ، لما يرى فيها من خطر  
يهدد دينه ، وهو : زعيم ، رأس المبشرين بالنصرانية ، إذ يقول :  
« لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد ، أعظم من عقيدة الدين الإسلامي  
الذي اقتحم قارتي آسيا وأفريقيا ، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده «  
وشرائعه ، وتقاليده ، وأحكم عروة ارتباطهم » .



## خاتمة

وأخيراً فلعله قد بان ، مما قدمته عن منهج القرآن ومسالكه ، في إثبات العقيدة الصحيحة ، الحقائق التالية :

أولاً : إذا كان القرآن الكريم ، هو ينبوع ، الذى تستقى منه العقيدة الصحيحة ، فهو كذلك ينبوع ، الذى يستقى منه منهج إثبات هذه العقيدة ، ومن ثم ، فالمناهج التى توصل إلى غير ما أثبتته القرآن الكريم ، لا تستحق أن ينظر إليها ، بل حرى بها أن تُلغى ، ويضرب بها عرض الحائط .

ثانياً : أن القرآن الكريم فيما سلكه من مسالك ، وما رسمه من مناهج ، حتى إثبات عقيدة الإسلام ، لم يبق عذراً لمبطل ، ولا حجة لمفكر ، فى ترك الإيمان بالله تعالى ، وعدم الدخول فى هذا الدين الحنيف .

ثالثاً : أن القرآن الكريم قرر أركان العقيدة الإسلامية ، فى آيات كريمة عديدة ، وهذه الآيات الكريمة يمكن تصنيفها لمجموعتين : آيات تجمع بين كل هذه الأركان ، وآيات تقرر كل ركن على حدة .

رابعاً : أن القرآن الكريم لم يستخدم مناهج تقليدية ، ولا لجأ إلى طرق بشرية تقبل الخطأ والصواب ، وتلائم عمر دون عمرو ، وتختص بمجيل دون جيل . والمنهج القرآنى هذا ، مغاير تماماً لطرق المتكلمين ، فلجانب أنه أعم وأشمل منها ، إذ يعمها هى وغيرها من الطرق ، يتضمن طرقاً ذاتية خاصة به مما يسم القرآن الكريم بمنهجية ذاتية مستقلة فى مجال إثبات صحة العقيدة الإسلامية ، والدفاع عنها ، وغيرها من المجالات .

خامساً : أن المنهج القرآنى فى إثبات العقيدة الإسلامية الحققة ، والدفاع

عنها ، تمثل في الدعوة إلى النظر والتأمل في الكون ، والرد على أهل الخصوم  
وإلزام أهل العناد ، وإثبات العقيدة بالقسم ، وتصوير المعاني العقلية  
في صورة حسية .

سادسا : أن القرآن الكريم ليس معجزاً من حيث تركيبه ومعناه فحسب ،  
ولأنما يمتد إعجازه ليشمل جميع أقطاره وجوانبه ، فهو كتاب الثقلين جميعاً ،  
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

سابعا : وانطلاقاً مما سبق ، يتحتم على المسلمين أن يعتمدوا في إثبات  
عقيدتهم على المنهج القرآني ، فهو المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ ،  
وترسم خطاه من بعده سلف الأمة رضوان عليهم أجمعين ، وكانت نتيجته  
أن دخل الناس في دين الله أفواجا .

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ، والاعتصام بحبله المتين ، والنمسك بكتابه  
الكريم وهدى نبيه الأمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى  
آله وصحبه وسلم .

د. عبد الحميد علي عز العرب

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

رقم ١

نوع رايج راجع

هذا هو البناء الذي نمتلكه

هذا هو البناء الذي نمتلكه

فليقلنا نحن نملكه  
تكاليفه له يذوق ، لهذ وحلفاء ، قيمه كسبا

وحلفاء ، فقط اقيمة كسبا فليقلنا نحن نملكه : لسلك

## مراجع البحث

- ١ - السيوطي : الإقتان ج ١ ص ٥٥ .
- ٢ - البخاري : الجامع الصحيح : كتاب المغازي .
- ٣ - الكلبى : الأصنام ص ٣٤ .
- ٤ - مسلم : صحيح مسلم كتاب الإيمان .
- ٥ - علي أبي العز الحنفى شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص ٢٦٥ .
- ٦ - ابن منظور : لسان العرب ج ١١ ص ١٥ .
- ٧ - المعلقات : ص : ٨٤ .
- ٨ - الزمخشري : أساس البلاغة ص ١١١ .
- ٩ - الإمام أحمد : مسند ابن حنبل ج ٤ ص ١٢٨ .
- ١٠ - ابن الأثير ج ١ النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ٤٣٣ .
- ١١ - ابن فارس : مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٣٣ .
- ١٢ - ابن سينا : الشفاء : كتاب الجدل ج ١ ص ٢٣ .
- ١٣ - المصباح المنير ص ١٢٨ .
- ١٤ - الجرجاني : التعريفات ص ٦٦ .
- ١٥ - أبو حيان : البحر المحيط ج ١ ص ٢٢٣ .
- ١٦ - أبو البقاء : الكليات ص ١٤٥ .
- ١٧ - الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٢٤ .
- ١٨ - ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
- ١٩ - الرازى تفسير الرازى . ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ .

- ٢٠ - محمد علي سلامة : منهج الفرقان في علوم القرآن ص ٤٣ .
- ٢١ - محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن ص ٣٩٨ .
- ٢٢ - مناع القطان : مباحث علوم القرآن ص ٣٠٣ .
- ٢٣ - زاهر عواض الألعى : مناهج الجدل في القرآن الكريم  
ص : ٧٨ - ٧٩ .
- ٢٤ - ابن القيم : التبيان ج ١ ص ٤٥ .
- ٢٥ - محمد محمود حجازي : التفسير الواضح ج ٢٣ ص ٨٠ - ٨١ .